القاضي الفقيه شرف الدين بن عصرون الموصلي

.....

د. صهيب حازم عبد الرزاق الغضنفري
قسم الدراسات الاقتصادية والاجتماعية/ مركز الدراسات الاقليمية، جامعة الموصل / العراق

الملخص

تناول البحث العالم الفقيه شرف الدين بن أبي عصرون الموصلي الذي ولد في مدينة الموصل، وأسهم بنشر العلم والمعرفة فيها وفي سنجار، وحران، وحلب، ودمشق، فضلا عن مدنٍ أخرى، وتقلد وظائف أخرى كالقضاء والإشراف على الأوقاف.

وقد عاش وعَمِلِ في ظل دولتين من دول الإسلام، هما: الدولة الزنكية ، والدولة الايوبية ، اللتان دأبتا على تشجيــع العلم والعلماء بكافة الوسائل، مما أسهم في إثراء العلم و المعرفة في كل من الموصل والشام بخاصة في عهدي نور الدين محمود زنكي، وصلاح الدين الأيوبي.

Judge al - Faqih Sharaf al - Din ibn 'Asroun al – Musli Suhaib

Lecturer . Hazim Abdul Razzaq Alghadhanfary

Economic and Social Studies , Center for Studies Regional,

UNIVERSITY OF MOSUL

Abstract:

The research discusses the scholar Faqih Sharaf al-Din ibn Abi Sa'aroun al-Musli, who was born in the city of Mosul and contributed to spread the science and knowledge in Mosul and in other cities such as Sinjarharan, Aleppo and Damascus, as well as other cities. As a result of his scientific maturity, He lived and worked under control of two Islamic states, namely, the Zankid state and the Ayyubid state, which encouraged science and scientists strongly. This contributed to the enrichment of science and knowledge in both Mosul and the Levant, especially in the fields of Nooruddin Mahmoud Zanki and Saladin

المقدمة

تعدُّ مدينة الموصل من المدن العربية الإسلامية العريقة التي أنجبت الكثير من العلماء الذين أسهموا في ازدهـــار الحضارة العربية الإسلامية، ولم يقتصر أولئك العلماء في عطائهم لمدينتهم فحسب، بل امتدوا إلى مدنٍ أخـــرى ولاسيما مدن بلاد الشام، وأبرزها مدينة دمشق العريقة بخاصة، إذ كانت تدعو علماء العالم الإسلامي للقدوم إليها، والتمتع بفضائها العلمي العالي المستوى، تحت ظل سيادة الدولتين الزنكية والأيوبية اللتين دأبتا على تشجيـــع العلم والعلماء بكافة الوسائل، مما أسهم في إثراء العلم و المعرفة في الموصل والشام، واهتمام أمرائهـم الزنكيين والأيوبيين بالنواحي العلمية والمعرفية، ومن أبرزهم الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الديـــن زنكي، الذي قام برعاية العلماء وطلبة العلـم، وكان ذلك تبعاً للاستقرار السياسي والاقتصادي الذي نعمت بهِ كلٌ من الموصل والشام في العصرين الزنكي والأيوبي؛ إذ تولت الدولة الأيوبية خلال حكمها للشام الحركة العلمية فيها.

ومن العلماء اللّذين كانت لهم إسهامات علمية في عصر هاتين الدولتين العالم الفقيه شرف الدين بن أبي عصرون الموصلي الذي نبغ في العلوم الفقهيّة ، وأُسنِد له مناصب عدّة كالقضاء والأوقاف.

وهذه الدراسة التي تناولت هذا العالم احتوت على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، تناول المحور الأول سيرة الفقيه شرف الدين بن أبي عصرون وشيوخِهِ، وتناول المحور الثاني حياته العلمية ونشاطاتِهِ العلمية والأدبية، فيما تناول المحور الثالث توليـــــه القضاء، أما الخاتمة فقد تناولت خلاصة البحث، وأبرز النتائج التي توصَّل إليها البحث.

أولاً – سيرته وشيوخه :

هو عبد الله بن محمد بن هبة الله بن المطهر بن علي بن أبي عصرون[١] التميمي الموصلي، وكنيته أبو سعد، ولقبُهُ شرف الدين، وُلِدَ في مدينة الموصل في ٢٢ربيع الاول من العام ٤٩٢هـ الموافق ١٥ آب ١٠٩٩م[٢]، في حين يذكر مصدرٌ آخر أن مولدهُ كان في ربيع الأول من العام ٤٩٣هـ/ كانون الثاني من العام ١١٠٠م[٣].

تفقه أبن أبي عصرون في الموصل على يد علمائها وشيوخها، ومنهم المرتضى الشهرزوري (ت٥١١هـ / ١١١٧م) ، وأبو الحسين بن خميس الموصلي(ت٥١٨هـ/ ١١٢٤م)[٤]، وقد كان ميالاً للعلوم الدينية، وعلوم القرآن الكريم، فقد قرأ القراءات السبع، والقراءات العشر ببغداد؛ إذ قرأ القراءات السبع على يد أبي عبد الله الحسين بن محمد البارع (ت٥٢٤هـ/ ١١٢٩م)، أما القراءات العشر فقد قرأها على يد أبي بكر المزرفي(ت٥٢٧هـ/ ١١٣٢م)[٥]، وسبط بن الخياط(ت٥٣٧هـ/ ١١٤٢م)، ودعوان بن علي[٦]وأخذ الأصول عن أبي الفتح أحمد بن برهان، وسَمِعَ من أبي القاسم بن الحُصَين، وأبي البركات بن البُخاري، وإسماعيل بن أبي صالح، وأبي الحسن بن طوق[٧]، وإسماعيل بن أبي صالح المؤذن، ودرس النحو على يد دبيس، وأبي دلف[٨]، وأخبرَ عن الفقيه الحسين بن محمد بن أسعد بن حليم الفقيه الحنفي المعروف بالنجم(٩)، وروى عن أبي العز القلانسي [١٠].

ثانياً –حياتهُ العلمية والأدبية :

١- ابن أبي عصرون عالماً وفقيهاً :

بعد أن نال أبن أبي عصرون حظاً وافراً من العلم، بدأ بممارسة التدريس وذلك في عام (٥٢٣هـ/ ١١٢٩م) [١١]، إذ قام بالتدريس في مدارس الموصل ومنها المدرسة الاتابكية التي كانت تعرف بالعتيقة والتي بناها أمير الموصل سيف الدين غازي الأول بن عماد الدين زنكي[١٢] وذلك في عام (٥٤٢هـ / ١١٤٧م)(١٣)، كما قام بالتدريس في سنجار[١٤]، وأقام فيها وقتاً طويلاً، و في حلب[١٥] ودمشق [١٦]، وامتلك ابن

أبي عصرون علماً واسعاً، وكفاءةً في التدريس، ممّا دفع الملك العادل نورالدين محمود زنكي[١٧]لاستقدامه إلى دمشق للتدريس فيها في العام (٥٤٩هـ / ١١٥٤م)، فدرَّس في المدرسة الغزالية [١٨]، و الزاوية الغربية من الجامع الأموي[١٩]، لذلك فقد عُرِفَ بعالم أهل الشام، وقد بنى له الملك العادل نور الدين محمود العديد من المدارس[٢٠] في مدن منبج[٢١]، وحماه[٢٢]، وحِمص[٢٣]، وبعلبك[٢٤] تكريماً له[٢٥]، وأوكل إليه اختيار من يشاء للتدريس فيها[٢٦]، إذ اشتهر الملك العادل نور الدين محمود باهتمامه بالعلم والعلماء[٢٧]. وقام أبن أبي عصرون ببناء مدرستين لهُ، الأولى في حلب، والثانية في دمشق[٢٨]، وأطلق على كلٍ من مدرستيه والمدارس التي بناها لـــه الملك العادل بالمدارس العصرونية نسبةً الى اسمِه، وكانت المدرسة العصرونية في حلب مَعلَماً حضارياً مشهوراً [٢٩]. فمن هذا يتَّضح أن ابن أبي عصرون كان من الرجّال المتقبلين للعلم الى درجة التفوّق، فالعالم لا يصل إلـى درجة التفوّق إلاّ إذا كان يرغبُ في دراسة علمٍ معيَّن مع الذكاء والقُدرة على الحفظ، فهذه العوامل تساعد طالب العلم على تقبُّلِهِ.

فضلاً عمّا تقدّم فقد كان أبن أبي عصرون، محباً للخير، ذا ديانة واسعة، متواضعاً، وكانَ يُعَدُّ مرجعاً في المناظرات الفقهية، والفتوى والتدريس الشرعي، وهو من أتباع المذهب الشافعي[٣٠]، و كان يُدَرِّس المـذهب الشافعي، ونتيجةً لغزارة علمِهِ بالمذهب الشافعي ومعرفته به فقد أصبحَ شيخاً للشافعيّة، وقد كان من أفقه أهـلِ عصرِهِ[٣١]؛ لذلك فقد سمِعَ منه الكثير من طلاب العلم، وتفقَّهَ على يده الكثير من الأئِمة[٣٢]، وأقرأ القراءات والفقه[٣٣]، وقد أخذ عنه الفقه شيخ الإسلام فخر الدين بن عساكر شيخ الشافعية في الشام (ت٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م)[٣٤]، و تفقّه على يدِهِ في دِمشق أيضاً ضياء الدين أبو القاسم عبدالملك الدولعي(ت٥٩٨هـ / ١٢٠٢م)[٣٥]، و إلياس بن الفقيه الملقب ب(ناصح الدين)؛ إذ أخذ منه الفتوى[٣٦]، كما سمع منه عبد الكريم بن محمد الحرستاني (ت٥٦١هـ/ ١١٦٥م)[٣٧]وكلٌّ من حماد بن هبة الله بن حمّاد الفضيلي الحرّاني(ت٥٨٩هـ / ١١٩٣م)[٣٨]، ومحمد بن محمد بن حامد عماد الدين الاصفهاني (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) [٣٩]، وأبي البركات محمد بن علي بن محمد الانصاري الموصلي (ت٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م) [٤٠] وعمر بن أسعد شمس الدين أبي الفتح بن المنجى (ت٦٤١هـ / ١٢٤٣م)[٤١].

وقد روى عنهُ كُلٌ من أبي القاسم بن صصري(ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، وأبي نصر بن الشيرازي، وأبي محمد بـــن قدامة، و العماد أبي بكر بن عبد الله بن النحّاس وغيرهم[٤٢]، ونظراً لِسِعَةِ علمهِ وفقههِ ونزاهَتِهِ فقد أصبـــــح مقرّباً من الملك العادل نورالدين محمود[٤٣]، وقد ولّاهُ مهمة النظر في أمور الأوقاف[٤٤]؛ إذ كان يستشيرُهُ في كُلِّ ما يحتاج إليه من القضايا الوقفيّة [٤٥]، كما كلِّف بقضايا الإفتاء؛ اذ كان مرجعاً أساساً فيها سواءٌ في دمشـق أو غيرها[٤٦]، وكان إليه أمور المدارس والمساجد والحُسبة[٤٧].

وقد كان أبن أبي عصرون يقوم بدور السفير من الملك العادل نور الدين محمود وإليه، ففـــي عـام (٥٤٦هـ/ ١١٥١م)، جاء بالهدايا من الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله(٥٣٠-٥٥٥هـ/ ١١٣٥-١١٦٠) [٤٨] الى الملك العادل نور الدين[٤٩]، وفي عام (٥٦٦هـ/ ١١٧٠م) أرسله الأخير إلى الخليفة العباسي المستضيء بالله (٥٦٦-٥٧٥هـ/ ١١٧٠-١١٨٠م)[٥٠]ليعلن بيعته له [٥١].

٢- كتبه :

لقد كان لابن أبي عصرون العديد من المؤلفات القيمة التي عكست علمه وفقهه، والتي كانت مصادرٌ مهمـة وهي :

- كتاب صفوة المذهب في نهاية المطلب[٥٢] أو صفوة المذهب على نهاية المطلب[٥٣].
- كتاب الانتصار.
- كتاب المرشد.
- كتاب الذريعة في معرفة الشريعة.
- كتاب التيسير في الخلاف.
- كتاب مآخذ النظر[٥٤] أو مأخذ النظر[٥٥].
- كتاب مختصر في الفرائض.
- كتاب الإرشاد ويبحث في نصرة المذهـــب؛(أي المذهب الشافعي)[٥٦].
- كتاب فوائد المُهذَّب.

- كتاب التنبيه في معرفة الأحكام[٥٧].
- وكتاب الموافق والمخالف لدينه وورعِه وسِعَةَ علمِهِ، وكثرة رياستِهِ وسؤدده[٥٨].

فضلاً عما تقدم فإنَّ لابن أبي عصرون فتاوى فقهية كان لها دورٌ في اهتمام كتب الإفتاء وكتب المذهب الشافعي، ومن أبرز تلك الكتب وأهمها :

- كتاب المجموع في شرح المهذَّب لمحيي الدين النووي.
- كتاب طبقات الشافعية الكبرى للسبكي.

فقد كان لفتاوى ابن أبي عصرون حيزٌ في تلك الكتب[٥٩].

٣- شعره :

لقد كان لابن أبي عصرون اهتماماً بالشعر، وهذا ليس بالغريب بالنسبةِ لرجل فقيهٍ، ومتمكِنٍ من اللغة العربيـــة، فالفقيه يجِبُ أن يكون ملِماً باللغة العربية، والشعرُ هو أحدُ اركانها، والأهمُّ من ذلك أن من ينظُمُ الشِعرَ يعنـــي أنَّ لهُ ميلاً إليهِ، ولديهِ ملكةٌ شعرية، ولقد كانَ لِأبن أبي عصرون قصائِدُ شعرية، ومنها :

أمستخبري عن حنيني إليـــهِ لك الخيرُ إنَّ بقلبي إليـــكَ
وعن زفراتي وفرط اشتياقي ظمأٌ لا يرويهِ إلاّ التلاقـــيَ

ومن شعره أيضاً :

يا سائلي كيف حالي بعد فرقته حاشاك مما بقلبي من تنائيكـــا
فقد أقسم الدمع لا يجفو الجفون أسىً والنومُ لا زارها حتى أُلاقيكـــا(٦٠).

أَؤُملُ أن أحيا وفي كـل ساعةٍ تمرُّ بيَ الموتى تهُزُّ نعوشها
وهل أنا إلا مثلهم غير أن لي بقايا ليالٍ في الزّمان أعيشها

ومنه :

أؤملُ وصلاً من حبيب وإنني على ثقةٍ عمّا قليلٍ أفارقُـــه
تجارى بنا خيل الحمام كأنما يسابقني نحو الردى وأسابقه
فيا ليتنا متنا معاً ثم لم يــذق مرارة فقدي لا ولا أنا ذائقه

ومنه :

وما الدهر إلاّ مضى وهو فائتٌ وما سوف يأتي وهو غيرُ محَصَّلُ
وعيشُكَ فيما أنت فيه فإنـــه زمان الفتى من مجملٍ ومفصَّـــلِ

ومنه :

ما مضى فات والمؤملُ غَيبٌ ولك الساعةُ التي أنت فيهـــا[٦١]

ومنه :

كلُّ جمعٍ إلى شتاتٍ يصيرُ أيُّ صفوٍ ما شأنُهُ التكديـرُ
أنت في اللهوِ والأماني مُقيمُ والمنايا في كُلِّ وقتٍ تسيرُ
والذي غرَّهُ بلوغ الأماني بِسرابٍ وخُلَّبٍ مغـــرورُ
ويحكِ يانفسُ أخلِصي إنَّ ربي بالذي أخفت الصدور بصيرُ.

ومنه :

يا ناظراً في الكتاب بعـــدي مجتنياً من ثمار جهـــدي
بيَ افتقارٌ الى دعـــــاءٍ تهديهِ لي في ظلام لدي
أصبحتُ بعد الغنى فقيـــراً وبعد جمعِ الجموعِ وحـدي [٦٢].

ومن الملاحظ أنَّ شعر أبن أبي عصرون يغلب عليهِ طابع الحزن والتشاؤم، ربَّما ذلكَ لأَنهُ قد عاشَ حياةً حزينةً، أو صادفتهُ أموراً أثقلت كاهِلهُ فانعكس ذلك على شعرِهِ.

ثالثاً –توليه القضاء :

نظراً لما تمتَّع بهِ ابن أبي عصرون من علمٍ وفقه، فقد أوكِلَ إليهِ القضاء، إذ إن منصب القاضي لا يمنحُ إلاّ لرجلٍ فقيه فاهم عفيف[٦٣]، وقد تولّى ابن أبي عصرون القضاء في حرّان وسنجار وديار ربيعة في عهد الملك العادل نور الدين محمود [٦٤]، كما تولى القضاء في نصيبين[٦٥]وديار بكر[٦٦]، ثم عاد إلى دمشق في عام(٥٧٠هـ/ ١١٧٥م) واستقرَّ بها، وتولىّ القضاء بِها في العام(٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي [٦٧] بعد أن كان ضياء الدين أبو الفضائل القاسم بن تاج الدين يحيى بـن عبد الله بن القاسم الشهرزوري قاضياً عليها[٦٨]، فكبرت مكانته، وزاد نفوذه لدى السلطان صلاح الدين الأيوبي بعد تولّيه القضاء[٦٩]، وقد أصبح كُلٌ من محيي الدين محمد بن زكي، وأوحد الدين داوود نائبين لهُ في القضاء، وكتب لهما السلطان صلاح الديـن تقليداً بالنيابة، وعلت مكانته في الشام، وقد فقد ابن أبي عصرون بصرهُ في عام (٥٧٥هـ/ ١١٨١ م) [٧٠]، فألَّفَ جزءاً في جواز قضاء الأعمى وهو مخالف للمذهب الشافعي، وحول هذا الجواز يوجد نص يقول : " رأيتُ في كتاب((الزوائد)) تأليف أبـــي الحسين العمراني صاحب كتاب ((البيان)) وجهاً أنه يجوز، وهو غريب لم أره إلا في هذا الكتاب. ووقع لـي كتاب جميعه بخط السلطان صلاح الدين، رحمه الله تعالى، قد كتبه من دمشق الى القاضي الفاضل[٧١] وهـو بمصر فيه فصولٌ من جملتها حديث الشيخ شرف الدين المذكور، وما حصل له من العمى، وأنه يقـول:

إن قضاء الأعمى جائز، وإن الفقهاء قالوا إنه غيرُ جائز، فتجتمع بالشيخ أبي طاهر ابن عوف الاسكندراني وتسأله عمّا ورد من الأحاديث في قضاء الأعمى : هل يجوز أم لا ؟ "[٧٢].

ومن الجدير بالذكر أن بعض المصادر تذكر أن ابن أبي عصرون قد أصبح قاضٍ للقضاة، إلاّ أنها لم تذكر في أي عام أصبح قاضياً للقضاة، وقاضي القضاة هو : منصبٌ استحدث لأول مرةٍ في العصر العباسي الأول وتحديداً في عهد الخليفة العباسي الخامس هارون الرشيد(١٧٠-١٩٣ه/ ٧٨٦-٨٠٩م)، وهو أرفع المناصب القضائية، وظهر في بغداد، ولا يتولّاهُ إلاّ كبار علماء العصر[٧٣]، إذ يقول السبكي في تعريفِهِ لابن أبي عصرون : " القاضي الإمام أبو سعد التميمي الموصلي قاضي القضاة الشيخ شرف الدين نزيل دمشق وقاضي القضاة بها وعالمها ورئيسها"[٧٤]، أما النعيمي فيعرِّف ابن أبي عصرون بقولِهِ: " قاضي القضاة فقيه الشام شرف الدين أبو سعيد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن المطّهر بن علي أبن أبي عصرون بن أبي السري التميمي الحديثي ثم الموصلي ثم الدمشقي" [٧٥].

فمما لا شك فيه أن ابن أبي عصرون قد تولى منصب قاضي القضاة لعلمِهِ وفقههِ ورجاحة عقلهِ. توفي ابن أبي عصرون ليلة الثلاثاء ١ رمضان من العام ٥٨٥هـ / ٢٢ تشرين الاول م١١٨٩[٧٦]، ودُفِن في مدرسته التي بناها في دمشق والتي مرَّ ذكرها[٧٧]، وعند وفاته ورد من القاضي الفاضل كتاباً يُعزي فيه بوفاتهِ، يقول فيه : " وصل كتاب الذات الكريمة – جمع الله شملها وسرَّ بها أهلها ويسَّر الى الخيرات سبلها وجعل في ابتغاء رضوانها قولُها وفعلها – وفيهِ زيادةٌ هي نقص الإسلام، وثلمٌ في البرية يتجاوز رتبة الانثلام إلى الانهدام، وذلك ما قضاه الله وقدَّرهُ من وفاة الإمام شرف الدين بن أبي عصرون رحمه الله تعالى، وما حصل بموتهِ من نقص الأرضِ من أطرافها، ومن مساءة أهل الملة ومسرةِ أهل خلافها، فلقد كان علماً للعلم منصوباً، وبقيةً من بقايا السلف الصالح محسوباً.

والعلم بالشام زَرعُه، وكل من انتفع فعليه كان وإليهِ ينسبُ نفعُه، رضي الله عنه وأرضاه، ونضجَ بماء الرحمةِ مثواه، وما مات من أبقى تلك التصانيف التي هي المعنى المغني، بل ما مات من ولده المحيي، فإنه واللهِ لآثارهُ ولعلمه المحيي، والحضرةُ تنوبُ عنّي في تعزيتهِ، والقيام بحق تسليتهِ، وقد ساءتني الغيبة عن مشهده، وتغبير القدم وراء سريرِهِ، والتوسل الى الله في ساعة مقدمهِ، ولقد علمَ الله اغتمامي لفقد حضرته، واستيحاشي لخلو

الدنيا من بركته، واهتمامي بما عدمتُ من النصيب الموفور كان من ادعيته، وما مات بحمد الله حتى احرز غيبتهُ بأولادٍ كرامٍ بررة، وأنشأ طلبةً للعلمِ نقلة وللمـــدارسِ عَمَرة، وحتى بنى لله المدارس والمساجد، وأحيا نهاره وليله بين راكعٍ وساجد، فهو حيٌّ لمجده، وإنما نحن الموتى بفقده، وتعذَّرَ علـيَّ أن ينتقلَ بقايا الخير وأعقاب السلف، وأن يفارق ما ليس لنا منه لولا خلفه خلف "[٧٨].

الخاتمة

لقد اتضح لنا من خلال البحث أن الشخصية التي تناولها البحث هي شخصيةً موسوعية اهتمت بنواحٍ عدة فضلاً عن الناحية العلمية، إذ إن تلقيه للعلم على يدِ شيوخٍ أجلاء في مدينته الموصل كان له الأثر الكبير في نضجه العلمي والمعرفي، مما نتج عنهُ اعتماد الكثير من طلّاب العلم على معلوماته التي شملت المعلومات الاساسية التي نهلها من شيوخِهِ، فضلاً عن المعلومات الفقهية التي اكتسبها من خلال دروسه الفقهية، وتعلمِهِ للقرآن الكريم وأحكامِهِ والقراءات السبع والعشر التي أتقنها، مما أكسبه الخبرة الكافية لإعطاء الفتاوي في المسائل الفقهية التي كانت من صلاحياته التي أعطيت له من الملك نور الدين محمود في العصر الزنكي، والسلطان صلاح الدين الأيوبي في العصر الأيوبي. فضلاً عن ذلك فإنه وكنتيجة لسمعته كفقيهٍ بارعٍ لا سيما في الفقه الشافعي فقد أصبح شيخاً للشافعية ومن بعدها تولى مهنة القضاء التي كانت تنسب الى أكثر الناسِ علماً وفقهاً، وتوليه الإشراف علـــــى الأوقاف.

فمن خلال هذا يمكن أن يخرج الباحث بنتائج أهمها :

- ازدهار العصرين الذين عاش فيهما شرف الدين بن عصرون، وهما: الزنكي والأيوبي من الناحيتين العلمية والسياسية، إذ ان الأستقرار السياسي يتبعه ازدهارٌ علمي وازدهار في النواحي الأخرى.
- كان لشرف الدين بن عصرون رصيدٌ فكري جعلهُ الأول قبل غيرِهِ في نظر أولياء الأمر؛ لذلك كلفوهُ بمهـــامٍ كثيرة كالتعليم والأوقاف والحسبة ومراقبة المساجد والمدارس والقضاء وفي أكثر من مدينة، فلو لم يكن كُفأً لذلك لوَلَّوا غيرَهُ في مدنٍ أخرى، غير أنهم رشحوهُ لمهامِهِ التي قام بها وفي أكثر من مدينة، وأحياناً كانَ يوضع له نوّاب.
- كان من العلم والفقه إلى حد أنَّ طلّاب الفتوى كانوا يسافرون اليهِ من أماكن بعيدة، أو أحياناً كان يطلب للفتوى أو لِأخذ رأيِهِ بأمرٍ من الملك نور الدين محمود.
- ومما يدل على معرفتِهِ بالفقه أنه سُمِحَ له بمِمارسة القضاء حتى بعد أن فقد بصره.
- لقد كانت مؤلفاتِهِ رصينة؛ إذ أن أغلبها كان في أصول الفقه، وكانت تناقش من علماء عصرِه.

- كان شرف الدين بن أبي عصرون يحمل طابع الحزن، إلا أنه لم يلجأ الى الشكوى، ولكن ذلك اتضّح من خلال أبياتِهِ الشعرية، التي ذكرت في معظم المصادر، والتي اتسمت بطابع الحزن والضجر من الزمن.
- ومما يدل على علوِ شأنه أن القاضي الفاضل قام برثائهِ بعد وفاتِهِ رثاءً مميزاً.

الهوامش

١. العصرون من الاسر الموصلية العلمية التي كان لها دور في تطور العلم والمعرفة خلال القرنين السادس والسابع للهجرة في كُلٍ من الموصل والشام، مها سعيد حميد، الدور التعليمي للأسر العلمية في الموصل من القرن الخامس إلى نهاية القرن السابع الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ص ١٨.

٢. الذهبي، شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م)، سير اعلام النبلاء، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ٢١ :١٢٥-١٢٦.

٣. السبكي، تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت٧٧١هـ / ١٣٧٠م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق : محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، (دمشق، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م)، ٧: ١٣٢.

٤. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢١: ١٢٦.

٥. المصدر نفسه، ٢١: ١٢٦.

٦. النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت٩٢٧هـ/ ١٥٢١م)، الدارس في تاريخ المدارس، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م)، ١: ٣٠٣.

٧. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢١: ١٢٦.

٨. النعيمي، الدارس، ١: ٣٠٣.

٩. أبن العديم، كمال الدين أبو القاسم عمر بن احمد بن هبة الله (ت٦٦٠هـ / ١٢٦٢م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق : سهيل زكار، (بيروت، دار الفكر، د.ت)، ٦: ٢٧٤٦.

١٠. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢١ :١٢٦.

١١. الشيزري، عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر بن عبد الرحمن (ت٥٨٩هـ/ ١١٩٣م)، المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق :علي عبد الله الموسى، (الاردن، الزرقاء، منشورات مكتبة المنار، ١٩٨٧م)، ص١٠.

١٢. وهو الأبن الأكبر لعماد الدين زنكي مؤسس الدولة الزنكية في الموصل، تسلم حكم الموصل بعد استشهاد والده، أبن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، الباهر في تاريخ الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق : عبد القادر طليمات، (بغداد، مكتبة المثنى، ١٩٦٣م)، ص٩٢.

١٣. المصدر نفسه، ص٩٣ ؛ الديوه جي، سعيد، دور العلم في الموصل، (الموصل، مكتبة الميثاق، ٢٠١١م)، ص٢١؛ عبد الجبار حامد أحمد و صلاح الدين أمين طه، مدارس الموصل ودورها التعليمي في العصر الأتابكي٥٢١ - ٦٦٠هـ / ١١٢٧-١٢٦٢م، بحث منشور، (مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، ١٩٨٩)، ع١٩:ص ٣٤٥.

١٤. سنجار : وهي من مدن الجزيرة تقع الى الغرب من مدينة الموصل على مسافةِ ثلاثة أيام، ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، معجم البلدان، تحقيق : فريد عبد العزيز الجندي، (بيروت، دار الكتب، العلمية، د.ت)، ٣: ٢٩٧.

١٥. أبن العديم، زبدة الحلب، ٢: ٢٩٤.

١٦. السبكي، طبقات الشافعية، ٧ : ١٣٣ ؛ النعيمي، الدارس، ١: ٣٠٣.

١٧. نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي الابن الثاني لعماد الدين زنكي تولى إمارة حلب بعد استشهاد والده، ثم تولى حكم دمشق بعدها، وهو من أقوى الأمراء الزنكيين، وتمكن من حماية الشام من الصليبيين، لقِّـــبَ بالملك العادل، ابن الأثير، الباهر، ص ٨٥، ١٠٦.

١٨. أبن خلكان، أبو العباس شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)، ٣: ٥٣ ؛الذهبـــي، سير أعلام النبلاء، ٢١: ١٢٧.

١٩. المصدر نفسه، ٣ : ٥٣.

٢٠. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢١ : ١٢٥ – ١٢٧.

٢١. منبج : مدينة تتوسط المسافة بين الفرات شرقاً وحلب غرباً، الحموي، معجم البلدان، ٥ : ٢٣٨.

٢٢. حماه : وهي مدينة تقع على نهر العاصي، الى الشمال من حلب، المصدر نفسه، ٢ : ٣٤٤.

٢٣. حمص : وهي مدينة تتوسط المسافة بين دمشق جنوباً وحلب شمالاً، وفي طرفها قلعة حصينة على تلٍ عالٍ، المصدر نفسه، ٢: ٣٤٧.

٢٤. بعلبك : مدينة قديمة فيها أبنية وآثار عظيمة، بينها وبين دمشق ثلاثة ايام، وتقع الى الشمال منها، وهي الآن ضمن حدود لبنان، المصدر نفسه، ١ : ٥٣٨ ؛ شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ الإسلامي، (دمشق، دار الفكر، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ص ٩٠.

٢٥. أبو محمد بن محمد بن الشهاب المعروف بأبن الشحنة (ت٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م)، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تقديم : عبدالله درويش، (دمشق، دار الكتاب العربي، ١٩٨٤م)، ص١١١ ؛ صادق احمد جودة، المدارس العصرونية في بلاد الشام، (بيروت، دار عمار للطباعة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

٢٦. السبكي، طبقات الشافعية، ٧ : ١٣٣.

٢٧. ابن الأثير، الباهر، ص٩٢؛ محمد كرد علي، خطط الشام، (دمشق، مطبعة الترقي، ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م) ، ١: ٤٤.

٢٨. السبكي، طبقات الشافعية، ٧ : ١٣٢.

٢٩. المصدر نفسه، ٧: ١٣٣؛ النعيمي، الدارس، ١ : ٣٠٣.محمد راغب الطباخ، أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، (حلب، دار القلم العربي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ٢: ٣٥، ٦٠.

٣٠. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢١ : ١٢٥؛ صلاح الدين خليل بن ايبك (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)، نكت الهميان في نكت العميان، (مصر، المطبعة الجماليـة، ١٩١١م)، ص ١٨٥؛ الحلبي، محمد راغب الطباخ، أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، تصحيح: محمد كمال، (حلب، دار القلم العربي، ١٤٠٨ه / ١٩٨٨م)، ٢: ٦٠-٦١.

٣١. أبن الأثير، عز الدين، الكامل في التاريخ، تصحيح: محمد يوسف الدقّاق، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ١٠: ١٩٠ ؛ السبكي، طبقات الشافعية، ٧ : ١٣٣.

٣٢. الآسنوي، عبد الرحيم جمال الدين (ت٧٧٢هـ/ ١٣٧١م)، طبقات الشافعية، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ٢، : ٨٢.

٣٣. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢١ : ١٢٧.

٣٤. أبن تغري بردي جمال الدين بن أبي المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ / ١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تقديم :محمد حسين شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، ٦: ١٠٠.

٣٥. الآسنوي، طبقات الشافعية، ١: ٢٤٨.

٣٦. ابن العديم، بغية الطلب، ٤: ١٩٨٩.

٣٧. المصدر نفسه، ٦ :٢٧٤٦.

٣٨. المصدر نفسه، ٦ :٢٩١٧؛

٣٩. الجلبي، موسوعة اعلام الموصل، ٢ : ١٨٥.

٤٠. الذهبي، شمس الدين محمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق : عمر بن عبد السلام تدمري، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ٤٢ :٤٧٨.

٤١. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٣ : ٨٠.

٤٢. النعيمي، الدارس، ١ : ٣٠٣.

٤٣. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦ :١٠٠.

٤٤. الأوقاف : جمع وقف، وهو ما يتبرع بِهِ المسلمون من أراضٍ لتعودَ وارداتها لأعمال الخير كالجهاد في سبيل الله، أو لدعم الأيتام والأرامل، أو كفدية إطلاق سراح أسرى المسلمين، اليوزبكي، توفيق، الحيـــاة الاقتصادية في الموصل، (موسوعة الموصل الحضارية)، (جامعة الموصل، دار الكتب للطباعة والنشـر، ١٩٩٢م)، ص٣١٥.

٤٥. أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن أسماعيل بن ابراهيم بن عثمان الدمشقي المعروف (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تعليق : ابراهيم شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)، ١: ١١٥، ١٢٦، ١٢٧ ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢١: ١٢٦.

٤٦. أبن العديم، بغية الطلب، ١٠ : ٤٧٢٣؛ أبو شامة، الروضتين، ١ : ١١٥.

٤٧. أبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦ :٧٩.

٤٨. المقتفي لأمر الله : ابو عبدالله محمد بن المستظهر بالله الخليفة العباسي الحادي والثلاثون، ولد في ٢٢ ربيع الاول من العام٤٨٩ه/ ١٩اذار١٠٩٦م، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ/ ١٥٠٦م)،، تاريخ الخلفاء، (بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م)، ص ٣٤٣-٣٤٤.

٤٩. الحلبي، أعلام النبلاء، ٢: ٢٤.

٥٠. المستضيء بأمر الله الحسن ابو محمد بن المستنجد بالله، ولد في العام٥٣٦هـ/ ١١٤٢م، وتوفي في العام ٥٧٥هـ/ ١١٨٠م، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٥١-٣٥٢.

٥١. أبن الجوزي شمس الدين أبي المظفر يوسف المعروف بسبط (ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق : إبراهيم الزيبق، (بيروت، دار الرسالة العلمية، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م)، ج ٨، ق١: ٢٨٣.

٥٢. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢١ : ١٢٦.

٥٣. السبكي، طبقات الشافعية، ٧: ١٣٣.

٥٤. الذهبي، أعلام النبلاء، ٢١ : ١٢٧.

٥٥. السبكي، طبقات الشافعية، ٧: ١٣٤.

٥٦. المصدر نفسه، ٧: ١٣٤.

٥٧. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢١: ١٢٧.

٥٨. السبكي، طبقات الشافعية، ٧ : ١٣٤.

٥٩. ألنووي، أبو زكريا محيي الدين (ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، ألمجموع شرح المهذب، (القاهرة، مطابع الأزهر، د.ت)، ١: ١٦٤-١٦٥؛ السبكي، طبقات الشافعية، ٧: ١٣٥-١٣٦.

٦٠. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢١ : ١٢٨-١٢٩.

٦١. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك(ت٧٦٤ه/ ١٣٦٣م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ه/ ٢٠٠٠م)، ١٧ : ٣٠٩.

٦٢. السبكي، طبقات الشافعية، ٧: ١٣٥؛ أبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦: ١٠٠.

٦٣. أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، (بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م)، كتاب الأحكام : ص ١٢٧٢.

٦٤. السبكي، طبقات الشافعية، ٧: ١٣٣.

٦٥. نصيبين : تقع فيما يلي الموصل ثم سنجار على طريق الشام، وهيَ مدينة كثير المياه والبساتين، الحموي، معجم البلدان، ٥: ٣٣٣.

٦٦. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣: ٥٤.

٦٧. صلاح الدين الأيوبي: يوسف بن أيوب بن شاذي، ولد في مدينة تكريت بالعراق في العام (٥٣٢هـ / ١١٣٨م)، وربيَ في ظلال دولة النورية، وكان شجاعاً سمحاً، مجاهداً في سبيل الله، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٢٢ :١٨.

٦٨. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣: ٥٤.

٦٩. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢١ : ١٢٧؛ السبكي، طبقات الشافعية، ٧ : ١٣٣.

٧٠. أبن خلكان، وفيات الأعيان، ٣: ٥٤؛ السبكي، طبقات الشافعية، ٧: ١٣٥.

٧١. القاضي الفاضل : محيي الدين أبو علي عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن الحسن أحمد بن المفرّج اللخمي وزير السلطان صلاح الدين الأيوبي، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢١: ٣٣٨-٣٣٩.

٧٢. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣: ٥٤.

٧٣. عبد الرزاق علي الأنباري، منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية، (بيروت، الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٧)، ص٩١-٩٢؛ شبارو، عصام محمد، قاضي القضاة في الإسلام، (بيروت، دار النهضة العربية، د.ت)، ص١٥.

٧٤. السبكي، طبقات الشافعية، ٧: ١٣٢.

٧٥. النعيمي، الدارس، ١: ٣٠٣.

٧٦. أبن الأثير(ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، الكامل، ١٠: ١٨٩-١٩٠؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣: ٥٥.

٧٧. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢١: ١٢٧.

٧٨. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣: ٥٦.